رسالة الكويت

رسالة دورية تصدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية

السنة الرابعة عشرة – العدد [٥٧] ربيع الآخر ١٤٣٨هـ/يناير ٢٠١٧م

مركز البحوث والدراسات الكويتية

في هذا العدد

- افتتاحية العدد
- مائة عام على افتتاح مكتب التلغراف في الكويت (١٩١٦-٢٠١٦م)
- زيارة للشيخ مبارك ورؤيته للاحداث السياسية في المنطقة عام ١٩٠٤م)
- الحاج سليمان وصفقة بيع حمولة مائة جمل من الأرز
- «الترميل» في وثائق الكويت خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين
- «الأزرق. السجل. الجذور ١٩٠٢-٢٠١٥م
- من مكتبة المركز
- إصدارات المركز الجديدة

الافتتاحية

عزيزي القارئ:

تضمنت «رسالة الكويت» مجموعة من المقالات نشرت في أوقات مختلفة في مجلات أجنبية في صورة استطلاعات أو تقارير أو محاضرات عن الكويت وعن أمرائها وشعبها وأحوالها العامة، ومثال ذلك:

- الكويت في أول استطلاع صحفي مصور عام ١٩٠٧م منشور في مجلة (Times of India).
- الكويت في أرض اللؤلؤ والعطش، مقال منشور في مجلة (Travels) عام ١٩١٦م.
- صديقي الشيخ، محاضرة عن الشيخ مبارك نشرت عام ١٩٢٢م، في مجلة (Black Wood's).
- مقال كتبته الرحالة الإنجليزية فريا ستارك في المجلة الجغرافية (Geographical) عام ١٩٣٧م.
- محاضرة ألقاها فيليب ساوثويل في الجمعية الملكية البريطانية للفنون في نوفمبر عام ١٩٥٣م ، بعنوان «الكويت.. المكان التي تسوده روح المودة والاحترام».

وفي هذا العدد نلتقي بمثالين من تلك المجلات؛ أولهما تقرير بعنوان «زيارة للشيخ مبارك» كتبه القنصل البريطاني في البصرة عام ١٩٠٤م، وثانيهما استطلاع نشرته مجلة «Picture Post» عام ١٩٣٨م تحت عنوان: «الحاج سليمان وصفقة بيع حمولة مائة جمل من الأرز». تكلم فيه كاتبه «لندت» عن أسلوب العمل التجاري في الكويت. وهذه الاستطلاعات والتقارير والمحاضرات وغيرها مما لم نذكره هنا تقدم مادة جديدة تضاف إلى تاريخ الكويت، وعلى الباحثين التنبه إلى أهميتها وإلى ما تضمنته من معلومات وصور تساعد في فهم كثير من الأحداث التاريخية، وتفصّل جانبا من الأحوال الاجتماعية والاقتصادية. فهي وثائق لا تقل أهمية عن الوثائق السياسية المتداولة.

والله ولي التوفيق،،

أ.د. عبدالله يوسف الغنيم

رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية

مركز البحوث والدراسات الكويتية

ص.ب: ١٠٢٤ دسمان – رمز بريدي: ١٥٤٦١ الكويت – ت: ٢٢٢١٠٨٩٨ (٠٠٩٦٥) – فاكس: ٢٢٢١٠٨٨٠ (٠٠٩٦٥)

E-mail: crsk@crsk.edu.kw - homepage: http://www.crsk.edu.kw

الحاج سليمان وصفقة بيع حمولة مائة جمل من الأرز

قدم له وعلق عليه أ.فهد غازي العبدالجليل

تأسست مجلة (Picture Post) في بريطانيا عام ١٩٣٨م على يد ستيفن لورنت. وكانت نموذجا رائدا في مجال المجلات المصورة، وحققت نجاحا كبيراً فور صدورها؛ فقد بلغت مبيعاتها بعد شهرين من إصدارها نحو ١,٧ مليون نسخة أسبوعيا، وكان يطلق عليها النموذج البريطاني من مجلة لايف (Life) المشهورة.

ونظراً لتوجهات المجلة التحررية ووقوفها ضد النازية ارتفعت مبيعاتها في أثناء الحرب العالمية

صورة غلاف مجلة (Picture Post)

حتى قاربت المليونين، ثم تراجع توزيعها بعد انتهاء الحرب، وذلك بسبب تنوع المجلات المصورة وازدياد أعدادها، وكذلك بظهور التلفزيون منافسا جديدا في مجال الخبر المصور، وقد أغلقت المجلة مكاتبها في يوليو ١٩٥٧م بعد أن أصبح توزيعها أقل من ٦٠٠ ألف نسخة أسبوعيا. وفي عام ٢٠١١م تم تحويل كافة أعداد المجلة وصورها إلى نسخة إلكترونية في صورة أرشيف تاريخي أصبح متاحا للباحثين.

والمقالة التي سنعرضها هنا كتبها أحد محرري "بيكتشر بوست" ويسمى لندت (A.R.Lindt)، ونشرت في ١٥ من أكتوبر ١٩٣٨م، ولم نعرف من هو التاجر سليمان، أي بقية اسمه، رغم عرض صوره على عدد من الأشخاص الذين لهم معرفة بالتجار. وقد ذكر أحدهم أنه ربما يكون التاجر المعروف سليمان ابن حمد البسام، وهو تاجر من بلدة عنيزة استوطن البحرين، ومارس فيها التجارة، وكانت له فيها مكانة كبيرة. وقد تكون هذه الصفقة الكبيرة هي التي دعته إلى الحضور إلى الكويت لإتمامها. ومازال هذا الأمر محل بحث.

الحاج سليمان وصفقة بيع حمولة مائة جمل من الأرز

"تجار الخليج العربي الأثرياء هم أحفاد السندباد البحّار، وقد بلغت مغامراتهم التجارية العديدة نصف العالم، وكان السند الوحيد الذي يعلن عن إتمام صفقاتهم هو المصافحة بين الطرفين.

وموانى الخليج العربي تقع في مدن تحيط بها أسوار قديمة بالية بنيّة اللون، ومنازلها المبنية من الطين في ساحات مظلمة لاتوحي بالثروة الكبيرة التي كان يتمتع بها هؤلاء التجّار.وعلى مدى قرون كانت هذه المرافئ مراكز توزيع للبضائع القادمة من الهند وإيران بالسفن الشراعية، ومنها كانت تنقل إلى ظهور الجمال لتزويد أهل البادية العربية بالأرز وغيره من المواد الغذائية الأخرى، وتلبية احتياجات زوجات شيوخهم من الملابس الحريرية والأقمشة المطرزة والحناء وغيرها.

وفي هذه الأيام لم يقتصر تعامل التجار على ماء الورد الإيراني والمنسوجات الحريرية دقيقة الصنع؛ فقد امتدت تجارتهم إلى الأجهزة اللاسلكية والسيارات الليموزين الأمريكية التي أصبحت مطلوبة في الجزيرة العربية، ورغم وجود عديد من المليونيرات بين هؤلاء التجار فإن أعمالهم لم تكن تسير وفق أساليب الرأسمالية الحديثة، بل كانت تدار وفق الأطر الاجتماعية والصلات الأسرية بشكل مُحض؛ فقد كان الأب هو المدير العام لأعماله في المكتب الرئيسي في الهند أو شرق أفريقيا، وكان أولاده هم مدراء الفروع المفتوحة من قبل المكتب الرئيسي العربي في الخارج، وهؤلاء التجار العرب الذين كانوا يعيشون في القرن العشرين كانوا يكنّون احتراماً كبيراً وتقديراً خاصاً لجدهم الأعظم السندباد البحّار وهم يعقدون صفقاتهم ويديرون مشروعاتهم بجسارة كبيرة.

الالتزام الديني والمحافظة سمة من سمات مدينة الكويت. والنساء لا يستطعن – كما هو الحال في البصرة أو بغداد – أن ينظرن من خلال الشبابيك إلى الشارع، فلا توجد نوافذ لحوائط منازلهم الخارجية، والمساجد عبارة عن قاعات غير مزينة، ولا نشاهد تلك المنارات الدقيقة الطويلة التي تعتلي أسطح المساجد (فمنارات مسجد الكويت صغيرة الحجم قليلة الارتفاع)، والكويتيون لا يعرفون الإسراف والترف إلا في الدعوات وعند استقبال الضيوف، فالاحتفال بهم في تلك البيوت تمثل لونا أو فصلا من حكايات ألف ليلة وليلة.

وعندما تجولنا ذات مساء مع المندوب السياسي خارج أسوار المدينة دهشت أنا وزوجتي من الروائح العطرة التي تنبعث من الصحراء، وكأنها بأكملها معطرة بالورود، فقال المندوب السامي عندما لاحظنا ونحن نستنشق هذه الروائح العطرة: أنا من يتعطر بهذا العطر، فعليّ أن أقوم بزيارة أحد التجار بعد الظهيرة، وضحك عندما رأى اندهاشنا، وأردف قائلاً: نحن الثلاثة مدعوون للعشاء مع فهد الفوزان هذه الليلة، احتفظوا بهذا السرّ لأنفسكم".

وفهد الفوزان هو واحد من أكبر التجّار في المدينة، وعندما قمنا بتلبية دعوته أخذنا إلى غرفة خالية مما يشتت انتباهنا عن فخامة المأدبة الحافلة بألوان الطعام الشهية، والتي تضم جبلا من الأرز يعلوه الزعفران بلونه الأصفر، وفوقه خروف كامل

مشويّ، بالإضافة إلى مالا يقل عن عشرين إناءً من الأطعمة الأخرى التي تشمل الدجاج المشويّ المحشوّ بالتوابل، واليقطين "القرع" الصغير، والبيض المسلوق، وكرات بنية اللون، وذهبية من اللحم المفروم، والحلوى القرنفلية اللون والليمون والعنب.

وقد بدأنا بتناول الطعام بأيدينا وفق الطريقة العربية، ولم يكن هذا أمراً سهلاً، كما يبدو، فالتقاليد العربية الصارمة في تناول الطعام على المائدة تقتضي عدم استخدام اليد اليسرى فهي لديهم تعدّ غير نظيفة وغير مناسبة لتناول الطعام، واليد اليمنى فقط هي التي تستخدم، ولا يستخدم منها إلا الإبهام والسبابة والوسطى، ومن الصعب جدا أن تقطع بأصابعك الثلاثة هذه قطعة من اللحم من خروف كامل.

وقد تناولنا الطعام في صمت وبسرعة كبيرة؛ فالإتيكيت العربي يعدّ التحدث في أثناء تناول الطعام والأكل ببطء من الأمور المستنكرة.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام صبّ الخادم الماء الدافئ على أيدينا، ثم ذهبنا إلى غرفة الاستقبال؛ حيث قدّم لنا الابن الأكبر للمستضيف القهوة والشراب، ثم نادى فهد الفوزان غلامه الأسمر فمرّ علينا بمبخرة في يده اليمنى وقارورة فضية في يده اليسرى يرش منها ماء الورد على أيدينا، ويقرب إلينا المبخرة لنحرك رائحة البخور العطرة نحو ملابسنا. ولعل هذا هو السبب في أن تجد أي شخص في الكويت دائماً معطراً.

ولقد كانت الكويت حتى نهاية القرن التاسع عشر ترسل أساطيل من سفنها للمغامرة والمخاطرة، وكانت الكويت ميناءً مشهوراً بهذه الصفات ، وقد ورث المواطنون الحاليون كثيراً من روح المغامرة التي كانت لدى أسلافهم، ولأن الكويت كانت تفرض رسوم استيراد أقل بكثير من جيرانها (١٠٪ على البضائع اليابانية، ونحو ٤ أو ٥٪ على البضائع الـواردة من البلاد الأخرى) فإن بعضهم وجد التهرّب من هذه الرسوم أمراً مربحاً.

وعبر بوابات المدينة ومع أول أضواء الصباح كانت الجمال والحمير المحملة بالأحمال الثقيلة وكذلك السيارات المكدسة بالبضائع تمرّ، وكان حارس البوابة العجوز يدعو لهم بالبركة. كان هؤلاء البدو يعرفون مسالك الصحراء قليلة الارتياد، وكان لديهم حواس حادة كالحيوانات البرية، وكان رجال من المملكة العربية السعودية والعراق يقومون بزيارات للمكاتب التجارية المتواضعة للتجار الكويتيين.

وقد كانت لي صداقات مع عدد من هؤلاء التجار، وكنت مهتماً بمتابعة بعض صفقاتهم، وعادة ما يكون أول موضوع للحوار بينهم عن دولار ماريا تيريزا الذي مازال أكثر العملات تداولاً داخل شبه الجزيرة العربية، وقد اشتكى تاجر من المملكة العربية السعودية من انخفاض سعر الـصرف، وكان ذلك - كما شرح التاجر الكويتي له - بسبب سحب موسوليني للدولارات من الحبشة Abyssinia ، وهو الآن يغمر بها السوق بكميات كبيرة في تورين Turin.

كانت مشاورات التاجرين ومناقشاتهما بشأن الصفقة التي يزمعان إتمامها تجرى ببطء، وعندما احتدمت المساومة بينهما استرخى التاجر الكويتي في جلسته، وخلع نعاله الفضيّ المطرز، وأخذ يهز أصابع رجله، أما المشتري فقد غادر المكتب مرّة

بعد الأخرى ليوحي للبائع بأن الصفقة أصبحت بعيدة عن الاتفاق.

وفي ظل هذه المناورات من الطرفين، غالباً ماينتهي الأمر الخاص ببيع حمولة الجمال المقدّرة بنحو ٤٠٠٠ جنيه إسترليني أو أكثر بأن يتفق الطرفان، ويتم ذلك بالمصافحة بين الطرفين، وبعدها يودّع المشتري التاجر ويغادر المكان.

ولما قلت للتاجر الكويتي: "ولكنك حتماً ستحصل على تأكيد مكتوب بالصفقة"، ردّ قائلاً: لا، فالتصافح بيننا بالأيدي كافٍ، وحتى لو كانت البضاعة تقدّر بمئات الآلاف من الجنيهات؛ فهي مضمونة وليست معرضة للخطر، وقد أعطيت أوامري بالفعل بإرسال البضائع". وقال التاجر أيضاً: أنا لا أتذكر أن صفقة ما تمت بالتصافح بالأيدي، ثم حدث اختلاف بشأنها.

فسألته: وهل هناك كثير من الإفلاسات في الكويت؟؟

فردّ التاجر متهكماً: "قليل جداً من التجار هم الذين يفلسون، فإذا واجه أيٌّ من التجار المشهورين (ذوي السمعة الحسنة) أي صعاب التقى المواطنون الأغنياء في المدينة بالشيخ أحمد الجابر في غرفة الاستقبال الخاصة بالأمير، وقاموا بتوفير الأموال اللازمة لمواجهة ذلك دون أخذ أية إيصالات أو أية فوائد.

وبدأ التاجر في فحص شحنة من الأجهزة اللاسلكية الأمريكية، ثم قال: مع نهاية هذا العام سيكون هناك مائة من هذه الأجهزة تستعمل في الكويت، وليس هذا هو المدهش في الأمر، ولكن المدهش هو أن الكويت مازالت تحافظ على طريقة الحياة التقليدية فيها على الرغم من وجود مئة جهاز لاسلكي وثمانين سيارة فيها.

لقد كان تأثر الكويت بالحضارة الغربية أقل من دول كبرى في الشرق الأوسط وجدت نفسها فجأة رهينة سيطرة الاختراعات الأجنبية، أما الكويت فكان لديها الوقت الكافي لتمعن النظر فيما يجيئها من الغرب من مستجدات، وتفرق بين ما هو ثقافي وما هو آلي، وكان التجار الكويتيون يمتلكون الخزائن الجديدة لحفظ الملفات والآلات الكاتبة والمراوح الكهربائية، وكانوا يتابعون أحدث أسعار البورصة من خلال الكابلات واللاسلكيات، وكان لدى الكويت أحدث مصنع للثلج آنذاك. في ذلك الوقت كنت تبحث عن رجل عربي يرتدي رداءً أوروبيا فلا تجده، حتى ولو كان مرتديا فقط لقبعة همبورج واحدة، لقد حافظ الكويتيون على نظامهم الاجتماعي والأسري القائم على الانتماء إلى العشيرة كلها، وكان على كل رجل ومن واجبه الأساسي أن يتواصل مع أبعد شخص من أقاربه.

وقد كان هذا النظام القائم على التواصل الاجتماعي والأسري فعّالاً جدا، حتى أنك لم تكن تجد متسولاً واحداً في الكويت.

أما شيخ الكويت الذي كان يعدّ نفسه أبا حقيقياً لشعبه فقد كان يرسل رجاله كل مساء ليقوموا بتوزيع الأرز على الأسر المحتاجة بالمدينة.

وقد لفتت زوجتي انتباهي إلى أمر مهم حينما تساءلت: ألم تلاحظ أننا في أثناء تجولنا عبر العديد من المحلات في مدينة الكويت لم نسمع مرة واحدة كلمة "بقشيش"؟؟!!

أ. ر.ليندت

(A.R.Lindt)

(١) بداية صفقة تجارية عربية: يصل عميل مهم إلى مكتب الحاج سليمان، وهو تاجر كويتي ثري

(٢) يجلس العميل على كرسي عند مكتب الحاج سليمان وينزع نعاله إشارة إلى أن المساومة قد تطول

(٣) يتبادل التاجر والعميل بعض الأحاديث الطريفة. إذ تتطلب أصول الضيافة العربية أن يكون هناك محادثة عامة قبل البدء في الحديث عن التجارة، وينهيها الحاج سليمان بنكتة يضحك لها الجميع

(٤) تختفي الابتسامات مع كشف الهدف من الزيارة، فالعميل يريد شراء مائة حمل جمل من الأرز ليرسلها فورا، ويدفع المقابل خلال ستة أشهر. ويبدأ الحاج سليمان بالتفكير في هذه الصفقة

(٥) بينما يثمِّن الحاج سليمان بتمعّن عرض العميل، ينتظر الكاتب الذي يرتدي النظارات ما يبديه التاجر من رأي

(٦) يبدأ البحث في الصفقات السابقة مع هذا العميل من خلال مجموعة من الملفات

(٧) بعد عروض ومساومات يقرر الحاج سليمان إتمام الصفقة والاتفاق على الشروط

(٨) يتصافحان بالأيدي توثيقا للصفقة، ويقول الحاج سليمان: "سأرسل لك الأرز الآن، وسوف تدفع لي بالدولار خلال ستة أشهر"، ولا يوجد هناك عقد مكتوب، ويعد اتفاقهما شيئا كافيا.

(٩) الزبون يصبح ضيفا، فعند الانتهاء من الصفقة يتم الترحيب به بإعتباره ضيفاً مميزا، وبُرَشٌ ماء الورد على رأسه.

(١٠) يحتفي الحاج سليمان بدعوته على العشاء قبل رحيله، وتقديم خروف مشوي فوق كومة من الأرز، بالإضافة إلى أطباق الدجاج المشوي والحلوى ذات اللون القرنفلي.

(١١) يقوم الكاتب بتسجيل الصفقة في سجل دقيق، ويقوم جميع التجار العرب باستخدام نظام إدخال مزدوج